إغتيال الطفولة والتعليم في زمن القصف

أطفال في مرمى الحرب المفروضة.. ذاكرة الشهادة وثقافة المقاومة

الوفاق/ في كل حرب، هناك ضحايا لا يُذكرون بما يكفي، لا لأنهم أقل شأناً، بل لأنهم أصغر سناً. وفي زمن تتسارع فيه الأحداث وتُختزل فيه المآسي في أرقام، تبرز مأساة الأطفال الشهداء في الحرب المفروضة التي استمرت ١٢ يوماً بين إيران والكيان الصهيوني كجرحٍ مفتوح في ضمير الإنسانية.

الأطفال، الذين لم يكتبوا بعد أول جملة في دفترهم المدرسي، والذين لم يكتمل نطقهم للحروف الأبجدية، يُغتالون بصمت تحت الأنقاض أو في أحضان أمهاتهم.

الحرب المفروضة الصهيونية ليست مجرد حرب، بل مشهد دامٍ من اغتيال الطفولة، من دفاتر لم تُفتح، وأحلام لم تُكتمل، وأسماء تحوّلت من نداءات صباحية في الصفوف إلى نداءات في مراسم التشييع.

ولم تكن فقط عدواناً عسكرياً، بل كانت جريمة ثقافية وإنسانية بحق الطفولة والتعليم. استُشهد ٣٤ طالباً، بينهم أطفال كانوا على وشك دخول الصف الأول، في مشهدٍ يختزل كل معاني الظلم والوحشية.

هذا المقال لا يرثي فقط، بل يحلل، ويوثق، ويستنهض الوعي الثقافي تجاه جريمة لا يجب أن تمرّ بصمت.

المدرسة.. منبر الحياة الذي تحوّل إلى شاهد قبر

المدرسة ليست مجرد مبنى، بل هي أول فضاء اجتماعي يكتشف فيه الطفل ذاته، ويبدأ فيه تشكيل هويته، ويتعلم فيه كيف يحلم. حين يُستهدف الطلاب، فإن ما يُستهدف هو المستقبل نفسه. استشهاد ٣٤ طالباً، بينهم ١١ في المرحلة الابتدائية، هو أكثر من مجرد رقم؛ هو إعلان صريح بأن الطفولة لم تعد آمنة، وأن التعليم بات هدفاً في مرمى النيران.

الطفلان «عليسان جباري» و«طه بهروزي»، من مدينة تبريز، كانا قد سُجّلا رسمياً في الصف الأول، لكن القصف الغادر أنهى حياتهما قبل أن تبدأ رحلتهما التعليمية. قال والد طه: «في يوم استشهاده، قمنا قبل ساعات بتسجيله في الصف الأول. كان ذلك اليوم هو بداية مشواره الدراسي، لكنه أصبح يوم استشهاده أيضاً». هذه المفارقة المؤلمة تختزل كيف يمكن أن يتحوّل يوم البداية إلى يوم النهاية.

الطفولة المبدعة التي لم تُكمّل قصتها

«آيما زينلي»، الطفلة التي كانت تصنع الأعمال اليدوية منذ سن الثالثة، استُشهدت مع والدها وشقيقتها هيدا. كانت تملك طاولة مليئة بالأقلام والأوراق الملونة، وتحب تأليف القصص وقراءة الشعر. قالت والدتها: «اسمها يعني «قمرنا»، وكانت قمر حياتي، لكنها أصبحت اليوم قمر كل إيران. هذه الطفلة لم تكن مجرد طالبة، بل كانت مشروعاً ثقافياً صغيراً، حلماً إبداعياً لم يُكتمل.

من بين الشهداء، ١١ طفلاً في المرحلة الابتدائية، منهم ٨ فتيات و٣ أولاد، بأسمائهم الكاملة، وأعمارهم، وهواياتهم، وأحلامهم الصغيرة التي لم تُكتمل. هؤلاء ليسوا مجرد ضحايا، بل رموز ثقافية وإنسانية يجب أن نُخلّد.

المدرسة كرمز ثقافي مستهدف

تدمير ٣٦ مدرسة خلال الحرب ليس مجرد خسارة بنيوية، بل هو استهداف مباشر للهوية الثقافية والتعليمية للأمة. المدارس هي مصانع الوعي، وحين تُقصف، فإن ما يُقصف هو العقل الجمعي. استشهاد ٥ معلمين، يُظهر أن العدوان لم يفرّق بين من يُعلّم ومن يتعلّم.

وزير التربية والتعليم عليرضا كاظمي أعلن أن من بين الشهداء ٣٤ طالباً و٥ معلمين، وأن هناك إصابات في صفوف الطلاب والكوادر التعليمية. هذه الأرقام ليست إحصاءات، بل وثائق دامغة على أن التعليم بات هدفاً في الحروب الحديثة. هذه ليست خسائر تعليمية فحسب، بل ضربة للهوية الثقافية للأمة.

الأطفال الذين استُشهدوا في الحرب الصهيونية المفروضة لم يكونوا فقط ضحايا، بل كانوا رسلاً للوعي، وأبطالاً للذاكرة، ومفاتيحاً لمستقبلٍ يجب أن يُبنى على العدالة والرحمة

عصر الشعر والذكرى

في مراسم «عصر الشعر والذكرى»، التي أُقيمت في مركز الإبداع الثقافي والفني، اجتمع شعراء أدب الطفل والناشئين، وعائلات الشهداء، ليُعيدوا صياغة الحزن إلى قصائد، والدموع إلى كلمات.

قال المدير العام للمركز، حامد علامتي: من واجبنا أن نحافظ على ذكرى هؤلاء الأعزاء حيّة، وأن نُبرز مفاهيم التضحية والشهادة في أعمالنا الأدبية.

الشعراء، بأقلامهم، نقلوا رسالة المقاومة، وقرأوا قصائد في رثاء الأطفال الشهداء، مؤكدين أن الأدب هو أولى علامات الثقافة، وأن القلم يظل حياً بنور الشهداء.

الرمزية العاشورائية في تخليد الشهداء الأطفال

في موكب «في طريق العشق»، الذي أُقيم في طهران خلال مسيرة الأربعين للذين لم يتمكنوا من الذهاب إلى كربلاء المقدسة، تم تخليد ذكرى الأطفال الشهداء من خلال الفن التفاعلي، الألعاب التعليمية، وسرد القصص. تم توزيع ثلاثة آلاف شارة تحمل صور الأطفال الشهداء، وتم تصوير الجرائم بحق الأطفال من كربلاء المقدسة إلى غزة. وشارك الأطفال والناشئون في إبداع عمل فني جماعي يحمل رسالة «استمرار طريق الإمام الحسين (ع)». الضيافة كانت من تنظيم فتيات ناشئات، وتم توزيع مواد ثقافية كتذكار للمشاركين.

هذا الربط بين عاشوراء والحرب الأخيرة ليس مجرد تذكير تاريخي، بل تأكيد على أن الظلم لا يتغير، وأن الأطفال هم دائماً الضحايا الأبرياء في معارك الكبار. الفن التفاعلي الذي شارك فيه الأطفال والناشئون كان محاولة لإعادة بناء الحلم، ولو رمزياً، من خلال الإبداع الجماعي.

الأطفال ضحايا دائمون

في مراسم إحياء ذكرى ٤٧ طفلاً شهيداً في روضة أطفال «آمنه»، قال السيد جواد حسيني، رئيس منظمة الرعاية الاجتماعية: «عرض الآثار المرعبة للحرب الصهيونية المفروضة له جانب مهم، وهو أن الأطفال كانوا دائماً الضحايا الرئيسيين في الحروب. في هذه الحرب المفروضة الصهيونية أيضاً، استُشهد ٤٧ طفلاً، إما في أحضان والديهم، أو تحت الأنقاض، أو مباشرةً برصاص القصف».

وأضاف: «من واجباتنا أن نُثير الحساسية العالمية تجاه الظلم. عدم الاكتراث أخطر من الحرب نفسها. هذه المراسم تحمل رسالة واضحة: لا يجب أن نكون غير مبالين، ويجب أن نتخذ موقفاً دائماً ضد الظالمين».

من الشهادة يُبنى الوعي

ما حدث في الحرب المفروضة الأخيرة ليس مجرد مأساة، بل اختبارٌ للضمير الثقافي والإنساني. الأطفال الذين استُشهدوا لم يكونوا فقط ضحايا، بل كانوا رسلاً للوعي، وأبطالاً للذاكرة، ومفاتيحاً لمستقبلٍ يجب أن يُبنى على العدالة والرحمة.

إن مسؤوليتنا، ككتّاب ومثقفين ومواطنين، أن نُخلّد أسماءهم، أن نُحوّل قصصهم إلى رموز، وأن نُعيد صياغة الحزن إلى مقاومة. الثقافة لا تُبنى فقط في المكتبات، بل في ساحات الألم، وفي قصائد الرثاء، وفي مواكب العزاء، وفي دفاتر الأطفال التي لم تُفتح. هؤلاء الأطفال هم شهداء الثقافة، شهداء الحلم، وشهداء المستقبل. واجبنا أن نروي قصصهم، لا أن نرثيهم فقط.

حين يتحول الحزن إلى لوحة والمسرح إلى نداء

من القلم إلى الدمام.. طهران تحتضن الفن العاشورائي في مسيرة الوفاء

الوفاق/ تزامناً مع أربعينية الإمام الحسين (ع)، شهدت طهران تظاهرة فنية وثقافية مهيبة تمثلت في إقامة فعاليات متعددة ضمن مشروع «خيمه هنر» وعرض مسرحية «العَلَم»، وذلك على هامش مسيرة المتخلفين عن زيارة الأربعين التي انطلقت من ساحة الإمام الحسين (ع) وصولاً إلى مرقد السيد عبد العظيم الحسني (ع) في «شهر ري» بطهران.

في ساحة شوش، أقامت دار الفنون التشكيلية وشؤون المتاحف التابعة للمنظمة الثقافية الفنية لبلدية طهران «خيمه هنر»، حيث تجلت مظاهر الفن الشعائري والتقليدي الإيراني.

معرض «خيمة الفن»

بمناسبة حلول أيام الحداد الخاصة بأربعينية الإمام الحسين (ع)، تم عرض مجموعة من الأعمال الفنية المنتجة ضمن مشروع «خيمة الفن» التابع لقسم الشؤون الفنية في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، بحضور نادرة رضائي مساعدة وزير الثقافة في الشؤون الفنية، ومسؤولين ثقافيين، إلى جانب عدد من الفنانين والمهتمين بمجال الرسم والتصوير، وذلك في قاعة «خيال» التابعة لمؤسسة «صبا».

في هذا الحدث، تم عرض ٢٢ لوحة فنية من إبداع ١٨ فناناً ملتزماً، تم إنتاجها خلال ورشة العمل الجماعية لقسم الفنون التشكيلية في «خيمة الفن» خلال أيام محرم لهذا العام. كما تم في القسم الجانبي عرض ٥٣ صورة مختارة من خمس دورات سابقة لمهرجان تحت عنوان «قاب أربعين» الدولي، تجسد لحظات مميزة ومهيبة من مسيرة الأربعين.

شارك في هذه الخيمة نخبة من الفنانين البارزين، من بينهم الأستاذان كريم عرب تهراني ومهدي سهرابي في فن الخط والكتابة العاشورائية، إلى جانب سعيد وسهيل مصيبي اللذين قدما لوحة فنية مؤثرة تجسد مشهد استشهاد سيدنا علي الأكبر (ع).

إنا على العهد

كما قام الخطاط طون بكتابة عبارة «انا على العهد» وأسماء شهداء الحرب المفروضة الأخيرة على أحزمة الزائرين، وقدموا لهم لوحات تحمل العبارة الخالدة «إذا لم تكن إيران، فلا حاجة لجسدي»، في تعبير فني مؤثر عن الحزن والتضامن مع الشهداء.

مسرحية «العَلَم»

وفي سياق متصل، عرضت مؤسسة تنمية الفكر للأطفال والناشئين في محافظة طهران مسرحية «العَلَم» من تأليف وإخراج صادق كياني مقدم على خشبة المسرح المتنقل، حيث جسدت قصة زوجين من فناني المسرح الجوال يقدمان عروضاً عاشورائية في مختلف الطرق، مستعرضين مصائب الإمام الحسين (ع) ورفاقه الأوفياء كسيدنا علي الأكبر (ع)، سيدنا أبي الفضل العباس (ع)، والسيدة أم البنين (س).

كما نظّمت الإدارة الثقافية الفنية في بلدية طهران برنامجاً بعنوان «صورة الإيمان في طريق كربلاء المقدسة»، شارك فيه فنانون شباب برسم وجوه شهداء الحرب المفروضة الأخيرة باستخدام تقنية الفحم، في موكب الشهداء، بإشراف بيت الثقافة «أبوذر». ومن بين المشاركين: سارة سادات آرمون، برنيا رازآبادي، فاطمة سادات صفوي، كوثر فلاح، وحامد فلاح. وقد تميزت مسيرة المتخلفين عن زيارة الأربعين هذا العام بمشاركة واسعة من مختلف الفئات، حيث تم نصب نحو ٢٠٠٠ موكب على طول الطريق، منها مواكب عائلية، مواكب عائلات الشهداء، مواكب الشباب، مواكب الأم والطفل، إضافة إلى «الحافلة المحبوبة» التي قدمت خدمات ثقافية وتعليمية للأطفال.

أنا في إيران وأنت في العراق

كما أُطلقت حملات شبابية متنوعة مثل «أنا في إيران وأنت في العراق»، «دعوة»، «العهد مع الشهداء»، و«نائب الشهيد»، إلى جانب مراسم «دمام زني» اي ضرب الدمام وغيرها التي شارك فيها عشرات الفرق الشبابية.

هذه الفعاليات، التي جمعت بين الفن، الإيمان، والهوية الوطنية، جسدت روح عاشوراء في قالب فني معاصر، وشكلت جسراً بين الماضي المجيد والجيل الجديد، مؤكدة أن الفن لا يزال وسيلة فعالة للتعبير عن الولاء والوفاء لأهل البيت (ع) وقيم المقاومة والعدالة.

خبر ثقافي

الأربعين، طريقٌ يبلغ السماء

الوفاق
د. عباس خامه‌يار

في الأربعين، تتعطّر الأرض بنفحات السماء.
وتتحوّل الطُرُق، تحت أقدام الملايين من القلوب العاشقة، إلى نهرٍ لا ينتهي؛
ينبع من أقصى القرى والمدن، ومن أعماق الجبال والصحارى،
ليفيض أخيراً في بحر كربلاء اللامتناهي.
هواء المسير ممزوجٌ بعطر التراب المبتلّ بمطر الخريف،
وبرائحة الخبز الخارج توّاً من التنّور.
كل خطوة ترافقها سلامات، وأيدي ممدودة، ودموع في عيون المضيفين.
أطفالٌ يرفعون بأيديهم الصغيرة كؤوس الماء البارد.
عجائزُ منحنياتُ الظهر يضعن التمر والخبز على الموائد.
شبابٌ يكنسون الطريق لئلّا يغمر الغبارُ خطوات الزائر.
وكلّهم، دون أيّ انتظار، واقفون على حبّ اسمٍ واحد: الحسين (ع).
هذا الطريق لا يعرف حدوداً ولا جنسيات.
عربٌ، فرس، أتراك، وأفغان، سودٌ وبيض، مسلمون، بل وأتباع ديانات أخرى؛
كلّهم في صفٍّ واحد.
في هذا الموكب، يكون المارّ المجهول أعزَّ ضيف في أكرم البيوت.
وأصدق الهتافات ذاك «لبيك يا حسين (ع)» الخارج من أعماق الأرواح.
الأربعين امتدادٌ لعاشوراء؛
هي المعركة الأبدية بين الحقّ والباطل.
وهنا يكون الاختيار بسيطاً:
إمّا أن تقف في خيمة الحسين (ع) وزينب (س)،
أو تنزلق – ولو دون قصد – إلى صفوف يزيد وأعوانه.
طريق الحسين (ع) ليس قراراً لحظةً عابرة،
بل هو منهجٌ ربّى الأجيال، وأشعل الثورات،
ودفع برجالٍ ونساءٍ عظام إلى ساحات الفداء.
في كل خطوة، تسمع صوت التاريخ:
وقعَ الرماح والسّيوف، صرخة «هل من ناصر ينصرني»،
بكاء الأطفال، ونداء «زينب» المتردّد مع هبوب الريح.
ولكنك، إلى جانب ذلك، تسمع ضحكات أطفال اليوم،
وهم يجرون في طريق العشق، على أمل غدٍ أبهى.
تقول الإحصاءات العالمية إنّه أكبر تجمعٍ سلميّ للبشرية،
ولكن لغة الأرقام تعجز عن وصف الحقيقة.
فحقيقة الأربعين لا تُدرك إلا في دفء يد المضيف،
وفي دمعة على طرف عين الزائر،
وفي لذّة التعب في الخطوات،
وفي ذلك النور المنبعث من القبة الذهبية إلى القلوب.
وعند نهاية الطريق، حين تلوح القبةُ والعَلَمُ الأسودين تألقان من بُعد،
ترتجف ركبتاك، ويخفق قلبك سريعاً،
وتنساب دموع بلا إرادة.
هنا، لم تعد الأرض أرضاً،
بل السماء هي التي حلّت على التراب.
تضع جبهتك على العتبة، وتهمس:
«يالَيْتَنا كُنّا معك»...
وفي قلبك تعقد عهداً جديداً؛
عهداً بأن تمتدّ هذه الطريق،
لا على تراب العراق فحسب،
بل في كل مسير حياتك.
نعم... الأربعين رحلةٌ إلى كربلاء المقدسة،
ولكن غايتها السماء..

المستشار الثقافي الإيراني السابق في بيروت